# الأسس المنهجية عند أصحاب القراءة التجديدية المعاصرة لكتاب الله

**دكتور/ محسن بن حامد المطيري**

**الأستاذ المساعد بكلية التربية**

**قسم الدراسات القرآنية- جامعة الملك سعود**

**المملكة العربية السعودية**

**المقدمة:**

الحمد لله الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، صلى وسلم على المبعوث للناس معلما، وعلى آله وصحبه ومن ورث عنه من العلماء الربانيين والعاملين المخلصين.

أما بعد: فلقد دام المسلمون طوال تاريخهم يعدُّون طريق نقل القرآن الكريم من أوثق الطرق متواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله جل وعلا، لا يعدون مسلماً من يشكك في حرف منه فضلا عن التشكيك في كثير منه كالقصص القرآني، ومصدريته، حتى نبتَتْ فيهم- في هذا الزمان- زُمرةٌ من أهل الحداثة والتغريب والعلمنة من المشتغلين بدراسة الفلسفة وتاريخ الأفكار البشرية، فزعمت أنها عازمةٌ على إعادة تشكيل القرآن الكريم في إخراج جديد، ونُسخة حديثة، وفق مصادر جديدة ووثائق حديثة لم تظهر إلا في الآونة الأخيرة، وتدثرت هذه الفئةُ النابتةُ بدثار" البحث العلمي" و"الموضوعية"، و"التجرد"، " والبحث عن الحقيقة".

ومن هاهنا فقد قدمت هذه الورقة لبيان هذا المنهج المنحرف والتحذير منه صيانة لكتاب الله عن المشككين فيه سواء من جهة النص أو من جهة المعنى.

وقد قسمت هذا البحث إلى قسمين رئيسين:

الأول: مقدمة ، وتضمنت أهمية الموضوع، وتعريف بأصحاب هذا الاتجاه.

الثاني: أهم المعالم المرجعية عند أصحاب هذا الاتجاه.

الثالث: أهم المعالم في الرد على أصحاب هذا الاتجاه.

وإن الناظر بجد وإنصاف لَيعلم كيف هي أهمية طرح هذا الموضوع، وخطره، وحساسيته، وذلك لتعلقه بكتاب الله تعالى.

فأما أهمية هذا الموضوع فلتعلقه بأعظم أصلين وهما الكتاب والسنة ، وذلك من خلال محاولة التشكيك في مصدريتهما ومرجعيتهما للمسلمين بطرق ملتوية تحوي كثيرا من الزندقة والجحود لهما، وتتزيى بزي النصح للأمة والرقي بفكرها وعقلها بما يوافق العصر والزمان.

وللأسف فإن هذه النابتة من أصحاب القراءة المعاصرة لم يكونوا من المستشرقين الطاعنين في كتاب الله وإنما كانوا من جملة الدارسين لعلوم الإسلام، المشتغلين بقراءة تراثه، وأمانة حمله وأدائه، وكان ممن وافقهم في رأي أو خاصم مخالفيهم في مسألة بعض أعلام الشريعة وعلمائها والدعاة إليها، فكان الأثر أشد ألما، وكان الواجب على أهل العلم رد هذه الشبه ، ودحضها وبيان عوارها امتثالا لما أخذه الله من عهد وميثاق على العلماء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾آل عمران: ١٨٧

وتظهر أهميته أيضا في تعلقه ببيان النصوص الشرعية حيث ارتقى هؤلاء من التشكيك في النص الديني إلى محاولة هدم الأصول الشرعية في فهم كتاب الله التي أطبقت عليها الأمة ، ومحاولة تحكيم عقولهم الفاسدة ، وجعلها حكما على كتاب الله.

ومن هنا ننطلق إلى التأكيد على أصلين شرعيين لا يجادل فيهما مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما يتم التأكيد عليهما للرد على أصحاب هذا الاتجاه، فيحسن التذكير بهما لبيان فساد اعتقاد أصحاب القراءة المعاصرة في هذه الأصول الشرعية:

أولهما_ أن القرآن الكريم وحي إلهي منزل من رب العالمين، لا يشوبه احتمال الخطأ، أو يعتريه محض قصور.

_ أنه كلام عربي بالغ أعلى مراتب البلاغة جار على أفصح لسان نطقت به العرب.

وقد صرح القرآن الكريم نفسه بهاتين الحقيقتين في سياق واحد من قوله تعالى: (وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين).

وقد تم التأكيد على هاتين الحقيقتين القطعيتين المعلومتين من الدين بالضرورة في عدد من مواضع في القرآن الكريم ، وهاتان الحقيقتان ينبثق عنهما حقيقتان مهمتان:

أولهما: أنه لا يجوز التشكيك في حرف من القرآن الكريم، وقد حكى عدد من العلماء الإجماع على كفر من زعم ذلك.

الثاني: أنه لا يجوز أن يتصدى لتفسير وبيان كلام الله إلا عالم بلغة العرب وألفاظها ، فضلا عن العلم بالشريعة وأقوال السلف، وهو ما خالفه عدد من العصرانيين في تفسير كتاب الله إما جهلا منهم ، أو قصداً.

وإن الناظر المتأمل فيما قدم أصحاب القراءة المعاصرة من دراسات وكتب لا يجد لهم منطقا واحدا يتفقون عليه، أو معيارية محددة يقيسون من خلالها نتاجهم الفكري في قراءاتهم المتعددة.

"وإنما تميز طرحهم بأمرين:

الأول: أنهم اتفقوا على هدم البنيان الدلالي للمنطق اللغوي الذي اعتمده العلماء والمفسرون في قراءتهم للقرآن الكريم.

الثاني: أن أحدا منهم لم يقدم مشروعا كاملا يمكن تقييم معطياته ونتائجه بصورة علمية ينتهى منها إلى قبول أو رد كلي أو جزئي.

ومن ثم فليس أمامنا إلا استعراض أبرز الأفكار التي قدمت جملة تحت هذا المسمى القراءة المعاصرة للقرآن الكريم. مع ملاحظة أن أكثرها أفكار هدمية تتعلق بالبنيان الأصولي القائم.[1]

"ويمكن تقسيم أصحاب هذا الاتجاه إلى قسمين:

الأول: الجاحدون لنصوص الوحي من الكتاب والسُّنَّة؛ وهم ثلاثة أصناف:

١_ صنف ردَّ النَّصَّ الشَّرعيَّ جملةً وتفصيلاً.

٢_ صنف رَدَّ ما خالف عقولَهم منها.

---

([1]) نظرات في القراءة المعاصرة في دول المغرب العربي، محمد زين العابدين رستم، بحث منشور على موقع مركز تفسير.

٣_صنف ردَّ ما عارض بعض العلوم والتَّجارب والعلم الحديث بزعمهم، فإن أعجزهم ذلك شكَّكوا في صحَّة ما خالف أهواءهم منها.

الثَّانية: المتسترون تحت ستار تأويل الوحي وتحريف معانيه لما يتخوَّفون من حمية الناس لدينهم.

والمرتبة الأولى: تقوم على تكذيب لفظ النَّصِّ من أساسه.

أما المرتبة الثانية:– وهي الأخطر– فهي تسعى لتكذيب معنى النَّصّ الذي هو مرادُ الله ورسوله منه".[١]

**تعريف القراءة المعاصرة:**

ويمكن لنا بعد هذه المقدمة أن نعرج على تعريف القراءة المعاصرة بأنها: "استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم".

ويسميها بعضهم "بالقراءة الجديدة".[٢]

**أهم المعالم والأسس المرجعية في تناولهم للنص القرآني:**

يمكن تلخيص أهم الأسس التي يستند إليها هذا المنهج في هذه المعالم:

**١_ التشكيك في النص القرآني:**

إن زحزحة اليقين بنص القرآن والتشكيك في ثبوته أمر ظاهر في مآلات خطاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم، بل وعرضه للنقد كأي نص أدبي.

وإن كان بعض هؤلاء تهيب من ذلك لعدم مناسبته لعقول المسلمين ونفرتهم من صاحبه، وهو ما صرح به الجابري فقال: "لا الوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهيمنة، ولا درجة النضوج لدى المثقفين أنفسهم يسمح بهذا النوع من الممارسة الفولتيرية للنقد اللاهوتي، ولا السياسة تسمح، وبطبيعة الحال فالإنسان يجب أن يعيش داخل واقعه لا خارجه حتى يستطيع تغييره".[٣]

---

(١) بدعة إعادة فهم النص، محمد المنجد، (٣٨).

(٢) القراءات المعاصرة للقرآن الكريم: محمد كالو: (٥٦)، القراءة الجديدة للنص الديني، النجار.

(٣) التراث والحداثة، الجابري: (٢٥٩)، وينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، الريسوني: (٤١٢).

فالمسألة لدى الجابري فقه مرحلي، وتخطيط حتى لا يهيج مشاعر عامة المسلمين، وحتى يكون لما يطرحه رواج عند البسطاء والمخدوعين به.

ومع ذلك فلم يستطع الجابري أن يخفي هذا الاعتقاد، وإن كان ذلك بطرف خفي، فيقول مشككا في سلامة المصحف وجمعه من التحريف والتبديل: "ومن الجائز أن تحدث أخطاء حين جمع زمن عثمان –أي القرآن– أو قبل ذلك، فالذين تولوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين، وقد وقع تدارك بعض النقص كما ذكر في مصادرنا، وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) الحجر، فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان والتبديل والحذف والنسخ".[1]

وهكذا يرمي الجابري بالشبه، ويحيلها على مصادره التي جمعت بين كتب المستشرقين وشبهاتهم، والشيعة وترهاتهم، وغيرها من زبالات الأفكار التي أجمعت على عدم سلامة المصحف من التحريف والتغيير.

وقال–وهو يتحدث عن احتمال وقوع النقص في سورتي براءة والأحزاب–: "لقد اشتملت السورتان على نقدٍ داخليٍّ ومراجعة وحساب وكشف عورات –وخاصة سورة براءة–، لم يرد مثله في أية سورة أخرى. ولا نعتقد أن ما سقط منهما من الآيات- إذا كان هناك سقوط بالفعل–، يتعلق بهذا الموضوع، لأن ما احتفظت به السورتان كان عنيفاً وقاسياً إلى درجة يصعب معها –بالنظر إلى أسلوب القرآن في العتاب– تصور ما هو أبعد من ذلك".

وقال: "وكل ما يمكن قوله –على سبيل التخمين لا غير– هو أن يكون الجزء الساقط من سورة براءة هو القسم الأول منها، وربما كان يتعلق بذكر المعاهدات التي كانت قد أبرمت مع المشركين. ذلك أن سور القرآن، بخاصة الطوال منها، تحتوي عادة على مقدمات تختلف طولاً وقصراً مع استطرادات، قبل الانتقال إلى الموضوع أو الموضوعات التي تشكل قوام السورة ". ثم قال: "أما سورة الأحزاب، فيبدو أن ما سقط منها مبالَغ فيه".

---

([1]) فهم القرآن الحكيم: (٢٣٢/١)

هذا هو أسلوب الجابري، أسلوب التشكيك في قالب "البحث العلمي" والعبارات الموهمة، (يبدو أن ما سقط منها مبالَغ فيه، ما يمكن قوله على سبيل التخمين لا غير، هو أن يكون الجزء الساقط من سورة براءة.. وهكذا).[١]

ونلاحظ في نقد الجابري الحذر الشديد في إلقاء الشبه بتحريف القرآن، ولذلك كان المخدوعون به من المثقفين أكثر من غيره، وكان أكثرهم أثرا في التشكيك في الثوابت الشرعية.

ومن هذا المنطلق الذي بنى عليه أصحاب هذا الاتجاه فإنه يحق لهم نقد هذا القرآن، وتعريضه للتساؤل، ومساواته بالتوراة والإنجيل المحرفة.

يقول نصر أبو زيد: "إن النص القرآني وإن كان مقدسا إلا أنه لا يخرج عن كونه نصا، فلذلك يجب أن يخضع لقواعد النقد الأدبي كغيره من النصوص الأدبية".[٢]

**٢_ التاريخانية للنص القرآني:**

تعد القراءة التاريخية للنص من أكثر القراءات انتشارا بين أصحاب هذا الاتجاه، وذلك بسبب افتتانهم بالمنهج الاستشراقي، ويعد أركون أقدم من صرح بهذا الأمر بشكل واضح وصريح في مؤتمر عقد بباريس ١٩٧٤م.

والمراد بالتاريخية: أي ارتباط القرآن بواقعه الزماني والمكاني، فالنص لا يعدو أن يكون نتاجا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك الوقت الذي نزل فيه.[٣]

وإذا أُخذ بهذا الأساس المرجعي منهاجا لتفسير النصوص الدينية، كان معنى ذلك أن تكون هذه النصوص رهينة تاريخها إذ " لا يمكن فصل أي نص عن تاريخه".[٤]

---

(١) المصدر السابق: (٢٣١)، وينظر: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم، البكاري، وبوعلام: (٦٠، ١٨٩، ٢٢٥).

(٢) مفهوم النص، نصر أبو زيد: (٢٤)، وينظر: التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن، منى الشافعي: (١٠١).

(٣) العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص): الطعان: (٢٩٥)، وينظر: نحن والتراث للجابري: (٢٩).

(٤) القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، محمد كالو: (٨٨).

يقول محمد أركون:" ينبغي أن يستيقظ المسلمون، أن يفتحوا عيونهم، أن يقرؤوا القرآن بعيون جديدة، أن يتموضعوا في عصره وبيئته لكي يفهموه على حقيقته، وعندئذ لا يعودون يسقطون عليه أفكار عصرهم وهمومه، أو نظرياته وأيديولوجياته، فالقرآن ليس كتابا في علم الفيزياء أو الكيمياء، ولا في علم الاجتماع والاقتصاد، وهو لا يفرض نظاما اقتصاديا محددا دون غيره، ولا نظاما سياسيا معينا، هذه الأشياء متروكة للبشر لكي يحلوها طبقا لقوانين علم الاقتصاد والاجتماع والسياسة، القرآن هو أولا وقبل كل شيء خطاب ديني يتحدث ببلاغة عالية عن موضوعات أساسية تخص البشر أينما كانوا كالحياة والموت والآخرة والعمل الصالح، والعدل وحب الجار".[1]

ويقول الصادق النيهوم الذي يرى استحالة تطبيق الشعائر الإسلامية المؤصَّلة في القرآن الكريم، لأن النص القرآني مرهون بتاريخه فيقول:" الثابت أن القرآن لا يتردد في القول بأن ركن الإسلام الأول ليس هو الصلاة والزكاة وأداء الشعائر، كما تزعم نظرية القواعد الخمس، بل هو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يمكن تطبيقه إلا في مجتمع قائم على سلطة الأغلبية).[2]

والحقيقة إن مؤدى هذه الفكرة هو تعطيل الشريعة بالكامل، ونسبتها لسياقها التاريخي، وعزلها عن الواقع بالكامل، وتطبيق الجانب العلماني في جميع جوانب الحياة.

ولذلك لما حجوا بعدة أدلة كاستمرار الصحابة ومن بعدهم عدة قرون على هذه الشريعة، وإجماع العلماء من السلف والخلف على كثير من أحكامها، أسقط في أيديهم فصرحوا بعدم الحجة في هذه النصوص، وأنها لا تثبت شيئا.

يقول حسن حنفي: " إن النص وحده لا يثبت شيئا، وقال الله وقال الرسول لا يعتبر حجة".[3]

---

([1]) قضايا في نقد العقل الديني، أركون: (٢٨٥).

([2]) إسلام ضد الإسلام، النيهوم: (١٥).

([3]) دراسات إسلامية لحسن حنفي: (٢٥).

**٣_ التأويل غير المنضبط:**

إذا كان التأويل عند أهل الأصول يعني:" حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده"، وأنه لابد أن يكون في نطاق النص، ضمن شروط وضوابط،[١] فإنه أصبح مطية كثير من مشاريع القراءة الحداثية للنص القرآني، لدفع التشريعات الإسلامية، وليِّ أعناق كثير من محكمات نصوص الأحكام الربانية، فالخطاب العلماني يعول كثيرا على التأويل في قراءته للقرآن الكريم، لأن التأويل يمكن الدخول منه بسهولة إلى الغايات والمقاصد التي يبحث عنها هذا الخطاب، والتي لا صلة له بالمفهوم القرآني مطلقا.

ولذلك فالأصل عندهم هو التأويل، ولا يوجد نص إلا ويمكن تأويله، حتى تلك النصوص الواضحة يمكن تأويلها.

يقول حسن حنفي: "ومن ثم فالتأويل ضرورة للنص، ولا يوجد نص إلا ويمكن تأويله من أجل إيجاد الواقع الخاص به...حتى النصوص الجلية الواضحة التي لا تحتاج في فهمها إلى تأويل".[٢]

ولعل عبد المجيد الشرفي يعبر عن هذا الضرب من التأويل عندما يقول:" لا ينبغي أن يكون تنفيذ عقوبة معينة كما هو الشأن في القصاص والسرقة وغيرهما محسوبا على الخضوع لأوامر إلهية لا صلة لها بالزمان والمكان، بل هي مما اقتضته ضرورات الاجتماع والأخلاق، وهي أمور متغيرة وغير مستقرة، تتأثر بعوامل عديدة منها الثقافي ومنها الاقتصادي والسياسي".[٣]

ويبين الجابري السبب الحامل له على تعاطي عملية القراءة بقوله:" ...فهم القرآن مهمة مطروحة في كل وقت ومطلوبة في كل زمان، وقد يكفي التذكير بأنَّ اقتناعنا بأن

---

(١) المحصول في علم الأصول للرازي: (٢٢٥/٤)، البحر المحيط للزركشي: (٢٦/٣_ ٣٢).

(٢) من العقيدة إلى الثورة، لحسن حنفي: (٣٩٨/١).

(٣) الإسلام بين الرسالة والتاريخ، للشرفي: (٨٥).

القرآن يخاطب أهل كل زمان ومكان، يفرض علينا اكتساب فهم متجدِّد للقرآن بتجدد الأحوال في كل عصر".[١]

وعندما سئل محمد أركون عن كيفية التعامل مع قوله تعالى:( للذكر مثل حظ الأنثيين) (سورة النساء:١١) أجاب بأنه "لا يمكننا أن نستمر في قبول ألا يكون للمرأة قسمة عادلة، فعندما يستحيل تكييف النص مع العالم الحالي، عندما يكون منبثقا عن وضع اجتماعي لا يتناسب في شيء مع عالمنا الحاضر، ينبغي العمل على تغييره."[٢]

ويقول نصر أبو زيد: "إن تحديد المعنى المرجوح من المعنى الراجح في الظاهر أو المؤول تحديد مرهون بأفق القارئ وعقله".[٣]

وعلى هذا الفهم للنصوص فإن النصوص مرتبطة بفهم القارئ بحسب عقليته وزمانه ومكانه، وأصبحت النصوص الشرعية كلأ مباحا لكل أحد بلا ضوابط ولا زمام ولا خطام، فيجوز لكل أحد أن يفهم النص القرآني حسب فهمه ، وتهدم بذلك كل الشروط الشرعية في المتصدي للشريعة التي ذكرها الأصوليون ، وجاءت بها النصوص الشرعية المحكمة.

يقول حسن حنفي: " فالنصوص ثابتة في المنطوق متغيرة في المفهوم".[٤]

إن كل من يحترم عقله ودينه يعلم بالضرورة بطلان هذا القول بالعقل والنقل، ولولا ترويج الإعلام الغربي والعلماني لهذا المذهب لكان في مهب الريح، ولسخر منه القاصي والداني.

ومن ثم فلا تستغرب أن يصرح حسن حنفي بقوله: "وهو_ أي القرآن_ قابل لكل ما يراد منه ولا توجد قراءات صحيحة وأخرى خاطئة، فالقراءات كلها صحيحة، والخطأ هو قراءة المعاصرين للقرآن بمنظور غير عصري".[٥]

---

(١) فهم القرآن، القسم الأول، الجابري: (٦).

(٢) التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءة المعاصرين، إبراهيم طه: (٢٠٤).

(٣) مفهوم النص، نصر أبو زيد: (٢٠٤).

(٤) مفهوم الخطاب الديني: نصر أبو زيد: (١١٨).

(٥) التراث والتجديد، حسن حنفي: (١١٢).

فالقرآن ليس له معنى محدد نهائي إنه "يقول كل شيء دون يقول شيئاً".[١]

**٤_ عقلنة النص القرآني:**

يهدف هذا الغرض إلى تأويل جميع النصوص الشرعية الواردة في الغيبيات إلى قدرة العقل على تصورها، بحيث تؤول تلك النصوص إلى الاكتشافات الحديثة، والمخترعات.

ولا شك أن هذا الباب يتفاوت فيه المفسرون من الإمام محمد عبده، إلى أصحاب القراءة المعاصرة ، وله أصول متقدمة عند الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم.

فلا عجب عندها من تأويل النصوص الواردة في الغيبيات في الكرسي والعرش والشياطين والجن والملائكة عن ظاهريتها وحرفيتها.

يقول نصر أبو زيد: "السحر والحسد والجن والشياطين مفردات في بنية ذهنية ترتبط بمرحلة محددة من تطور الوعي الإنساني".[٢]

ولقد تولى د.محمد عابد الجابري في المغرب كِبْر هذا الاتجاه العقلاني في قراءة النص القرآني، وذلك منذ أن شرع يدعو في كتبه إلى استعمال "العقلانية" و" الروح النقدية" في التعامل مع التراث العربي.[٣]

يقول: "يجب استعادة الأسئلة القديمة التي كانت وراء كونها، وطرح أخرى حديثة تتجاوزها، أعني بذلك طرح مسار الكون والتكوين للظاهرة القرآنية نفسها".[٤]

**٥_ تجاهل تراث السلف في التفسير:**

كل من لديه صلة بعلوم الشريعة يعلم مقدار التفسير بالمأثور منها، وأنه لا يمكن الاستغناء للمتصدي للتفسير عن التفسير بالمأثور سواء كان ذلك في سبب النزول، أو تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين، إلا أن أصحاب القراءة المعاصرة حاولوا الإعراض عن تفسير السلف، وتجاهله وتفريغه من مضمونه.

---

(١) هكذا صرح د. طيب تيزيني في النص القرآني تعالى الله عما يقول علوا كبيرا. (٢٤٣).

(٢) نقد الخطاب الديني: (٢١٢).

(٣) إشكاليات الفكر العربي المعاصر، الجابري: (٣١_٣٥).

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم، الجابري: (١٩).

فأما سبب النزول فادعوا "إن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ"، يقول نصر أبو زيد: "فالتمسك بعموم اللفظ وإهدار خصوص السبب في كل نصوص القرآن من شأنه أن يؤدي إلى نتائج يصعب أن يسلم بها الفكر الديني".[١]

وأما موقفهم من تفسير القرآن بالسنة فهو نابع من تطاولهم على السنة النبوية، فيلاحظ تطاولهم الشديد على السنة، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكره باسمه فقط ، يقول أركون وهو أكثرهم تطاولاً: "تتم عملية التوصيل _يقصد الوحي_ عن طريق وسيط ذي مكانة متميزة وسلبية في آن معا هو: محمد، إنه مجرد ناقل للوحي. وفي الواقع الجزء الخرافي من سيرة النبي هو الأكثر وضاءة وأهمية".[٢]

ومن هنا فقد أنكر هؤلاء عددا من التفسيرات النبوية للقرآن كالإسراء والمعراج، ووجو الجن والشياطين، وأنكر أبو زيد وجود القرآن في اللوح المحفوظ، وقال عنها: "إنها اعتقادات أسطورية".[٣]

وفسر شحرور النفخ في الصور، وقيام الساعة بصراع المتناقضات الماركسية، وكذلك أنكر وجود العرش واللوح المحفوظ، رغم ثبوتهما بالنصوص الشرعية المتواترة.[٤]

وأما الجابري فقد حاول بقدر المستطاع نسف أقوال السلف واطراحها، وأنها أقوال لا تعدو أن تكون فهما يوافق زمانهم ومكانهم.

يقول الجابري:"...لقد كنَّا نطمح إلى أن نوضح كيف أن فهم القرآن ليس هو مجرد نظر في نصٍّ مُلئت هوامشه وحواشيه بما لايحصى من التفسيرات والتأويلات، بل هو أيضا فصلٌ هذا النص عن تلك الهوامش والحواشي، ليس من أجل الإلقاء بها في سلة المهملات، بل من أجل ربطها بزمانها ومكانها، كي يتأتى لنا الوصل بيننا نحن في عصرنا، وبين النص نفسه كما هو في أصالته الدائمة.[٥]

---

(١) مفهوم النص، نصر أبو زيد: (٦٨).

(٢) الفكر الإسلامي، أركون: (٧٢)، وينظر: الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، الشدي: (١٥٨).

(٣) نقد الخطاب الديني، نصر أبو زيد: (١٩٨).

(٤) الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، شحرور: (٢٣٦).

(٥) فهم القرآن الكريم، الجابري: (٧/١).

وأبدى ذلك من خلال عدد من الأمثلة فرفض كل ما له بُعد غيبي ذي حمولة إعجازية وتوظيف التأويل في فهمه أخضع كلَّ ما ورد ثابتا من معجزات لسلطان العقل، فوقف عند كل ذلك مؤوِّلا منسجما مع"عقلانيته" التي ارتضاها منهجا في قراءة القرآن الكريم،فانشقاق القمر لا يخرج عن ككونه خسوفا، وحادث الإسراء والمعراج كان مناما لا يقظة. (١)

**الفصل الثاني: ضوابط القراءة الصحيحة للقرآن الكريم:**

إن من يتأمل في أقوال السلف في التصدي لكتاب الله ليعلم عظم هذا الباب من أبواب العلم، فهذا أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما يتورعان عن القول في آية من القرآن خوفا من الوقوع في الخطأ والزلل، والقول على الله بغير علم.

ومن هنا فإن العلماء وضعوا عددا من الشروط في المفسر الذي يتصدى لبيان معاني كلام الله، فمنها:

أولاً: ضوابط الاستقامة:

١_ صحة الاعتقاد.

٢_ صحة النية.

٣_ العدالة.

٤_ جودة القريحة.

٥_ طول الممارسة لتفسير كتاب الله عند العلماء.

ثانياً: ضوابط التحصيل العلمي:

١_ علوم اللغة العربية: النحو والبلاغة.

٢_ علوم القرآن الكريم: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقصص القرآني، والقراءات، والمناسبات.

٣_ علوم أصول الدين: معرفة حقوق الله والنبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم: (١٨٨)، ويقول الجابري هنا بخصوص هاتين المعجزتين:" إنها تراث لنا ومن حقنا، بل من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل ومعطيات العلم في عصرنا".

٤_ علم أصول الفقه.

٥_ علوم الحديث والسنة.[١]

ثالثاً: ضوابط الفهم والتنزيل:

أولاً: الضابط النقلي: تفسير القرآن بالقرآن، والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين.

رابعاً: الضابط اللغوي.

خامساً: الضابط السياقي.

سادساً: الضابط التنزيلي: والمراد به: تنزيل الآيات على الواقع الموجود، وله ضوابط:

١_ صحة القصد في التنزيل.

٢_ التمكن من علوم الشريعة.

٣_ التبصر بالواقع المنزل عليه.

٤_ أن يكون للتنزيل وجه مندرج في أصل الآية.

٥_ لا تنزل وقائع الآخرة على آيات الدنيا: كقول الغماري في قوله تعالى: "وإذا البحار سجرت" إن المراد به: البترول، يقول: " وغير خاف أن البترول بحار مودعة في الأرض..وهي بحار من الزيوت أودعها الله في بطن الأرض".[٢]

فالآيات جاءت في سياق بيان الآخرة، وجاء في ذلك: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه نظر عين فليقرأ: "إذا الشمس كورت".[٣]

ومن تأمل في حال أصحاب القراءة المعاصرة، وقارنها بأحد هذه الضوابط الشرعية تبين له بوضوح البون الشاسع والفرق الواضح بين ما يتخرصون به على آيات القرآن وبين ما ذكره العلماء عن التصدي لكتاب الله ، فلا اللغة تسعفهم، ولا العلم بالآثار والأحاديث، ولا المعرفة الدقيقة لأصول الفقه، ومن هاهنا نعلم حذر العلماء وتحسسهم من الكلام في كتاب الله، يقول تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

---

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن، السيوطي: (٢٠٠/٤)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي: (١٧٣/٢).

(٢) مطابقة الاختراعات العصرية، أحمد بن صديق: (٢٣)، وينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، الريسوني: (١٣٢).

(٣) رواه الترمذي في كتاب التفسير: (٤٠٣/٥).

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ٣٣

ويقول صلى الله عليه وسلم: (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار).[١]

ومن تمعن في المشترك بين هؤلاء يجد إن من أهم السمات محاولة الموافقة للحضارة الغربية، وروح العصر، والهزيمة النفسية التي يشعرون بها، والتي يصرحون بها في بعض الأحيان، ومن السمات المهمة: الأخذ من أقوال المستشرقين ، وتعظيم كلامهم والاعتماد على كثير من دراساتهم في الدراسات الإسلامية ، ولولا وجود الأسماء العربية لظننت أنك تقرأ لجولد تسيهر أو شاخت اليهوديان المتعصبين ضد الإسلام.[٢]

كما أن من أهم سماتهم التناقضات الموجودة في أقوالهم، وهذا أمر طبيعي لمن أعرض عن الكتاب والسنة وأقوال السلف وأصول العلماء، حيث يكون عدم الاطراد والتأصيل هو الأصل، وخاصة مع طول العهد ، والأعجب من ذلك أن يكون آخر كلامه ناقضا لأوله.

يقول نصر أبو زيد: " لابد من العودة إلى الأصول والاحتكام إليها، والأصل والبدء هو سلطة العقل ، السلطة التي يتأسس عليها الوحي ذاته ، هذه السلطة قابلة للخطأ ، لكنها في الدرجة نفسها قادرة على تصويب أخطائها ، والأهم من ذلك أنها وسيلتنا الوحيدة للفهم ، فهم العالم والواقع وأنفسنا والنصوص ، ولأنها سلطة اجتماعية تاريخية فإنها ضد الأحكام النهائية والقطعية اليقينية الحاسمة ، إنها تتعامل مع العالم والواقع الاجتماعي والطبيعي والنصوص كونها مشاريع مفتوحة متجددة قابلة دائما للاكتشاف والفحص والتأويل".[٣]

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير: (١٩٩/٥).

(٢) صدر في ذلك عدة كتب: انظر آخرها في أكثرهم إثارة وهو: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور: محمد عابد الجابري، البكاري، بوعلام، حيث قارنا في فهرس الكتاب بين الشبه المعروضة لدى محمد الجابري وبين الشبه لدى أحد المستشرقين الألمان.

(٣) نقد الخطاب الديني، نصر أبو زيد: (٦٩).

فهو يريد الجمع بين الدعوة إلى الرجوع للعقل، وفي نفس الوقت يأبى أن يكون للعقل حكم قاطع حاسم للنصوص ، فلا أدري كيف سيكون هناك قطعيات في الشريعة؟ أو ثوابت لا تقبل الخلاف كألوهية الله، ووحدانيته، وغيرها.

ومن تناقضاتهم أيضا في أصول التفسير: ما وضعه شحرور من أصول للتأويل من التقيد باللسان العربي، وفهم أسرار مواقع النجوم، وقاعدة تقاطع المعلومات، ثم زعم بعد ذلك أن العلماء الربانيين الذين يضطلعون بالتأويل على طريقته المرسومة هم: داروين، ونيوتن، وآنشتين، لأنهم طرقوا سبل العلم، وفتحوا مغاليق الحياة بمخترعاتهم النافعة.[1]

وهذا منتهى التناقض فهل هؤلاء يعلمون اللسان العربي، أو يمتلكون وصف الإسلام فضلا عن وصف العالم الرباني، ورحم الله القائل" من تكلم بغير فنه أتى بالعجائب".

ولعل فيما ذكرنا سابقا كفاية في عوار هذا المنهج وضعفه لكل ذي لب ، وإنصاف يريد الحق والوصول إليه.

---

([1]) الكتاب والقرآن، شحرور: (٢٠٦).

**فهرس الكتب**

١_ الكتاب والقرآن، شحرور ، دار الأهالي ، دمشق ، ١٩٩٢م.
٢_ نقد الخطاب الديني، نصر أبو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ط(٣).
٣_ الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور: محمد عابد الجابري، البكاري، بوعلام، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م بيروت لبنان الدار العربية للعلوم
٤_ مطابقة الاختراعات العصرية، أحمد بن صديق الغماري .
٥_ النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، د. قطب الريسوني، وزارة الأوقاف المغربية، ط: ١، ١٤٣١هـ.
٦_ جامع الترمذي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧_ الاتقان في علوم القرآن، السيوطي ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.
٨_ البرهان في علوم القرآن، الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة ، بيروت
٩_ مدخل إلى القرآن الكريم، محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ٢٠٠٦م.
١٠_ فهم القرآن الحكيم، محمد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ٢٠٠٩م.
١١_ الفكر الإسلامي، أركون ، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ١٩٩٦م.
١٢_ الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، عادل الشدي، طبعة جامعة الملك سعود، ١٣٣١م.
١٣_ إشكاليات الفكر العربي المعاصر، محمد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية
١٤_ النص القرآني، د. طيب تيزيني، دار الينابيع ، دمشق.
١٥_ التراث والتجديد، حسن حنفي ، طبعة الأنجلو المصرية، ط.٣، ١٩٧٨م.
١٦_ التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءة المعاصرين، إبراهيم طه ، دراسة أصولية فكرية معاصرة رسالة ماجستير غير مطبوعة من جامعة القدس ٢٠٠١م.
١٧_ الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة ، بيروت.
١٨_ المحصول في علم الأصول، الرازي، تحقيق: طه العلواني، جامعة الإمام ، ط.١.
١٩_ البحر المحيط، الزركشي، دار الكتب العلمية، ط.١، ١٤٢١هـ.

٢٠_ العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص): أحمد الطعان، دار ابن حزم، الرياض، ط.١، ١٤٢٨هـ.

٢١_ القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، محمد كالو ، رسالة دكتوراه، جامعة الجنان ، لبنان.

٢٢_ التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن، منى الشافعي، دار اليسر ، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

٢٣_ القراءة الجديدة للنص الديني، النجار ، مركز الراية للتنمية الفكرية ، جدة.